ملامح الفكر السياسي عند عمرو بن العاص رضي الله عنه

د. حسام إبراهيم أبو الحاج
جامعة الأحساء – المملكة العربية السعودية

المقدمة

هذا بحث يتناول شخصية فذة من شخصيات الصحابة الأطهار الذين برزت في التاريخ أسماؤهم وثارت حولهم شبهات المغرضين أصحاب الفتنة والبدعة الذين يدسون على الأمة في تاريخها ويشوهون صورة أعلامها وأشرافها لأمر في أنفسهم كتموه وأظهروا غيره وزينوه فبئس ما أضمروا وسحقاً لما أظهروا .

إنه الصحابي الجليل عمرو بن العاص فاتح فلسطين ومصر وأفريقية صاحب الفكرة الفذة والعبقرية الخارقة، القائد الشجاع، السياسي المجرب، الداهية المخلص .

ونحن إذ ندرس سيرة هذا الصحابي فإن مقصودنا أن نسلط الضوء على الجوانب السياسية في سيرته لتتكون عندنا صورة متكاملة للفكر السياسي الذي خلفه من خلال مواقفه المتفرقة والتي ظهر فيها آداء سياسي بارز يتعلق بجوانب الحكم وأعمال الدولة ومن خلال أعماله السياسية المباشرة التي مارسها ونفذها وهو يتولى إدارة أكبر ولاية إسلامية للمسلمين في مصر .

وعليه فإن وسيلتنا لتحقيق الغاية والهدف أن نرجع إلى كتب التراجم والسير، وكتب التاريخ العام والخاص، وكتب السنة والسيرة والكتب المعاصرة التي ترجمت لهذا الصحابي الجليل لعلنا نجد فيها ما نبغي ونرتجي ؛ ندرس الخبر ونحققه ونعلق عليه ونستنتج منه ما يفيدنا من الملامح السياسية التي برز فيها هذا الصحابي المخضرم .

وبالرغم من أن الدراسات التي صُوبت نحو هذا الصحابي الجليل كثيرةٌ في عددها قديماً وحديثاً إلا أن الدراسات التي عنيت بالجانب السياسي عنده معدودة على الأصابع، ومن أبرز

الدراسات التي تناولت هذا الجانب الدراسة التي أجراها الدكتور عبد الرحيم محمد عبد الحليم تحت عنوان " عمرو بن العاص القائد والسياسي " وفيها أبرز الملامح السياسية والقيادية عند عمرو بن العاص، إلا أنها جاءت كترجمة لسيرته أكثر من أن تبرز الجوانب السياسية عنده، ونحن نطمع في دراستنا هذه أن نستخلص الجوانب السياسية عند عمرو بن العاص كتطبيق عملي لمفهوم السياسة الشرعية في الإسلام .

ومن الكتابات التي تناولت الجوانب القيادية عند عمرو بن العاص ما كتبه العقيد الركن صالح مهدي عماش تحت عنوان القيادة الناجحة " وفيها أبرز الجوانب القيادية في شخصية عمرو بن العاص، وكان أكبر تركيز الباحث على الجوانب العسكرية والمعارك والفتوحات التي تحققت لعمرو بن العاص في معاركه التي خاضها مع العدو، إلا أن الدراسة لم تبرز كثيراً الفكر السياسي لعمرو بن العاص كدراسة مستقلة، مما جعل الحاجة ماسة لإجراء دراستنا هذه .

ولا أدعي أن الذين كتبوا عن حياة عمرو بن العاص لم يتعرضوا لمواقفه السياسية بل حفلت كتاباتهم بذكر مواقفه ولكن لم يكن ذلك وفق منهجية تعتمد الموضوع السياسي أو منهج معين يركز على إبراز الملامح السياسية بل كانت كتاباتهم تعتمد التسلسل الزمني للحدث ؛ بمعنى أنه يتناول الشخصية ويسير معها بتسلسل زمني فإذا وافق في تلك السنة موقف سياسي أثبته وعلَّق عليه ؛ وهذا المنهج لا يفيدنا كثيراً في إبراز الفكر السياسي عند عمرو بن العاص ليشكل لنا نظرية سياسية أومنهجاً سياسياً سار عليه ذلك الصحابي في حياته .

هذا وقد اتبعت في دراستي هذه المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على عرض الرواية أو جزء منها ويحلله ويستخلص منه الفكرة ويجليها لتكون قريبة إلى ذهن القاريء، وقد استخدمت الأسلوب المقارن في بعض الأحيان بأن أقارن بين موقف عمرو بن العاص السياسي وموقف غيره في القضايا المتشابهة، فقارنت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم في استخدامه لوسيلة النار في الحرب، وقارنت بينه وبين أبي عبيدة من معالجة مرض الطاعون، وقارنت بينه وبين عمر بن الخطاب في سياسته في الخراج .

ومن المنطلقات التي انطلقت منها في دراستي هذه أمرين:

الأول: حسن الظن بالصحابي الذي أنا بصدد الكتابة حوله .

فإذا وجدت من الروايات ما يسيء الظن بهذا الصحابي وقفت عندها ونظرت في سند الرواية وما قاله المحققون فيها فإن صح سندها بحثت عن مخرج مقبول يعلل ذلك الموقف من هذا الصحابي يستقيم مع مبدأ عدالة الصحابة وتنزيههم عن مساويء الأخلاق .

وهذا المنطلق مهم جداً في الكتابة عن الصحابة الكرام فقد تعرضوا للإيذاء والتشويه لصورتهم من قبل المدسوسين على الإسلام وكل ذلك كيداً وعداوة وبغضاء للإسلام والمسلمين فلم يجدوا لهم مطعن إلا الطعن في سير الصحابة وتلفيق الروايات عليهم أو استخدام ما صح عنهم ويحمل معانٍ متعددة للنيل منهم واتهامهم، وقد قال الله في أمثالهم: " إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً " [1] وقال تبارك وتعالى " فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله "[2] وإذا كان هذا فيما يتعلق بالقرآن فكيف بالمنقول عن الصحابة ويمكن أن يحمل على أكثر من معنى ..؟ لا شك أنهم سيثيرون حوله زوابع لا تبقي ولا تذر .

المنطلق الثاني: الاعتناء بالجوانب السياسية من سيرة الصحابي بالدرجة الأولى .

فليس مقصد هذه الدراسة التوسع في سرد الأخبار التاريخية عن حياة عمرو بن العاص منذ ولادته وحتى وفاته بل مقصدها تجلية المواقف والملامح السياسة التي برزت عند عمرو بن العاص بعد إسلامه، ولذلك أعرضنا عن ذكر المواقف السياسية التي أُثرت عن عمرو بن العاص في الجاهلية لأنها لا تمثل السياسة الشرعية التي تنطلق من نصوص الشريعة لتحقق مقاصدها .

وقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة .

فأما المقدمة فقد تضمنت التعريف بالبحث، وبيان أهميته، وأهدافه، والمنهج المتبع فيه، ومنطلقاته، وعرض لمخططه .

وأماالمطلب الأول: التعريف بشخصية عمرو بن العاص .

وتعرضت فيه لذكر نبذة مختصرة عن اسمه، وإسلامه، وصفاته ومناقبه، والمناصب الوظائف التي شغلها، وفضائله، ووفاته .

المطلب الثاني: سياسة عمرو بن العاص في الحرب والجهاد .

وفيه تحدثت عن الملامح العامة لسياسة عمرو بن العاص في الحرب والجهاد من خلال دراسة لبعض المعارك التي خاضها منذ إسلامه وحتى وفاته .

المطلب الثالث: مواقف سياسية متفرقة لعمرو بن العاص .

وفيه حشدت عدداً من المواقف السياسية لعمرو بن العاص طوال حياته وهو خارج إطار الولاية والحكم وأخضعتها للدراسة والتحليل وأبرزت من خلالها بعض الملامح السياسية التي تشكل فكر عمرو بن العاص السياسي في المحصلة .

المطلب الرابع: أعمال عمرو بن العاص في مصر .

وفي هذا المطلب سلطت الضوء على بعض الأعمال المدنية التي قام بها عمرو بن العاص أثناء حكمه لمصر والتي تشكل جزءً مهماً من سياسته في الحكم والولاية .

وأما الخاتمة فتضمنت نتائج البحث والتوصيات التي خرج بها الباحث من هذا البحث .

وأخيراً فإنني لا أزعم أنِّي وفيت البحث حقه إلا أنني بذلت ما بوسعي من جهد فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان وأعوذ بالله من الخذلان .

المطلب الأول: تعريف شخصية عمرو بن العاص

أولاً: اسمه ونسبه[3]

هو عمرو بن وائل بن هاشم بن سُعيد بن سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، ويكنى أبا عبد الله .

وأمه النابغة من بني عنزة بن أُسيد بن ربيعة بن نزار .

ثانياً: إسلامه [4]

أسلم عمرو بن العاص متأخراً وقد وقع الاختلاف في تحديد تاريخ إسلامه على وجه التحديد، فقيل أنه أسلم عام خيبر، وقيل أسلم عند النجاشي، وهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل كان إسلامه في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر، وكان قد هم بالانصراف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من عند النجاشي. فقدم على النبي عليه السلام هو وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، فأعلن إسلامه على أن يغفر له ما كان قبله فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم "الهجرة، والإسلام يجب ما قبله " [5]

ثالثاً: صفاته ومناقبه

اتصف عمرو بن العاص بمجموعة من الصفات التي أكسبته الشهرة والمكانة الاجتماعية والسياسية في زمنه ومن هذه الصفات:

أ – الدهاء: ومواقفه في ذلك كثيرة ومعروفة كما في قصته مع النجاشي ومحاولته إرجاع المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة وفي هذا يقول في وصفه ابن الأثير: " وكان من شجعان العرب وأبطالهم ودهاتهم "[6]

ب – الشجاعة والخبرة العسكرية: ومما تميز به عمرو بن العاص الشجاعة والخبرة في الحروب والقتال فقد ولَّاه النبي صلى الله عليه وسلم على سرية ذات السلاسل، كما أمَّره أبو بكر الصديق على رأس جيش لفتح بلاد الشام فكانت له جهة فلسطين منها، وهو الذي تولى فتح مصر في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ج – حسن الحوار والجدال: وعرف عن عمرو بن العاص أنه كان محاوراً ناجحاً يتغلب على خصمه بقوة منطقه وسرعة بديهته وحسن أسلوبه ممزوجا بالمكر والمكيدة في بعض الأحيان .

ويشهد لذلك موقفه من إقناع ملكي عُمان بالإسلام وهما (عباد وجيفر) حيث استطاع بأسلوبه الذكي أن يقنعهما بالإسلام.

يقول محمود شلبي: " فحمل الكتاب عمرو بن العاص وكان عند ظن النبي صلى اله عليه وسلم به في مقدرته ودهائه فبدأ بأصغر الأخوين عباد، لأنه لم يكن على ولاية الملك فهو أقرب إلى حسن الإصغاء، فاحتفى به وأصغى إليه ووعده أن يوصله إلى أخيه ويمهد له عنده."[7]

ويشهد له أيضا موقفه من أبي عبيدة في معركة ذات السلاسل حيث استطاع أن يقنع أبا عبيدة بالتخلي عن الإمارة لأنهم مجرد مدد وهو الأمير، فاستجاب له أبو عبيدة[8] .

رابعاً: المناصب والوظائف التي شغلها في حياته .

تسلم عمرو بن العاص وظائف ومهام مهمة وقام بها على أحسن حال ومنها:

أ – أمَّره النبي صلى الله عليه وسلم على سرية ذات السلاسل .[9] وكانت القبيلة المقصودة هي أخوال أبي عمرو بن العاص .

ب – أرسله صلى الله عليه وسلم إلى عُمان حاملاً رسالة من النبي صلى الله عليه وسلم إلى جيفر وعباد ملكي عُمان [10].

ج – وكَّله النبي صلى الله عليه وسلم بمال الصدقة في عُمان فبقي في عُمان على ذلك حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم.[11]

د – أرسله أبو بكر الصديق على رأس لواء من الألوية التي عقدها الصديق لفتح بلاد الشام [12].

هـ – فتح الله مصر على يديه[13] .

و – بقي واليا على مصر طوال خلافة عمر بن الخطاب وصدراً من خلافة عثمان ابن عفان، ثم عزله عثمان رضي الله عنه عنها .[14]

ز – رجع والياً على مصر في عهد معاوية بن أبي سفيان وبقي واليها عليها حتى وفاته .[15]

ومن هنا ندرك قيمة البحث في الفكر السياسي لعمرو بن العاص والأعمال السياسية التي مارسها وكيف ساس الناس بها لأنه يمثل فترة زمنية طويلة من الخلافة الراشدة وكان والياً على

بقعة جغرافية واسعة من الدولة الإسلامية، والتي لا يجوز إغفال النشاط الإسلامي والحضاري فيها .

خامساً: فضائله

جاء في فضائل عمرو بن العاص بعض الأحاديث النبوية ومنها .

1 – أخرج أبو نعيم في الحلية عن طلحة بن عبيد الله قال: " لا أحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً إلا أني سمعته يقول: "عمرو بن العاص من صالحي قريش" .[16]

2 – وروى الذهبي عن حيان ابن ابي جبلة عن عمرو بن العاص قال: " ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد أحد في حربه منذ أسلمنا "[17]

3 – وعن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام" [18]

4 – وعن عقبة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اسلم الناس وآمن عمرو بن العاص"[19]

قال الإمام الذهبي فيه: "وكان من رجال قريش رأيا ودهاء وحزماً وكفاءة وبصراً بالحروب ومن أشراف ملوك العرب ومن أعيان المحاربين والله يغفر له ويعفو عنه، ولولا حبه للدنيا ودخوله في أمور للصلح للخلافة فإن له سابقة ليست لمعاوية، وقد تأمر على مثل أبي بكر وعمر لبصره بالأمور ودهائه ".[20]

وأقول إنَّ الذين ترجموا لعمرو بن العاص قد بالغوا كثيراً في الحديث عن دهائه وحرصه على الدنيا، والذي يظهر لي أن هذا الكلام فيه شيء من المبالغة التي يجب على الباحث المنصف الإعراض عنها وذلك لأن كثيرا من أهل البدع ومحبي الفتنة والمغرضين قد أكثروا من مثل هذه الروايات للطعن في عمرو بن العاص وخاصة بعد الفتنة الكبرى وقضية التحكيم وسنقف معها قليلا عند الحديث عنها إن شاء الله تعالى .

سادساً: وفاته. توفي سنة 43 هـ بمصر ودفن فيها .

المطلب الثاني: سياسة عمرو بن العاص في الحرب والجهاد

غني عن القول أن للحرب سياسة وتدبيراً وأنها تعتمد على الحنكة والخطة وحسن التصرف من القائد في جميع مراحلها، والتعامل مع المواقف الحرجة بحزم وبصيرة .

ومن خلال دراسة سيرة عمرو بن العاص فقد وجدت له ملامح عامة في سياسته للحرب ظهرت جلياً في معاركه التي خاضها في الإسلام بدءاً من سرية ذات السلاسل وانتهاءً بفتح مصر وأفريقية .

هذه الملامح العامة تشكل جزءاً مهماً من السياسة الشرعية لولي الأمر في تدبير الحروب وفتح الأمصار وقد اكتسبت أهميتها من عدة أمور لعل من أهمها أنه عاش في فترة الخلافة الراشدة والتي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية، وثانيها أنه خاض معارك حاسمة مع أكبر جيوش العالم في زمانه ألا وهو جيش الدولة الرومية الذي بسط نفوذه على بلاد الشام ومصر وبقاع واسعة من العالم آنذاك، مما يدفعنا إلى النظر والتفكير في جوانب التدبير التي اتخذها ذلك القائد وكتب الله له بها النصر على تلك الجيوش .

الملامح العامة لسياسة عمرو بن العاص في تدبير الحروب والمعارك

أولاً: الأخذ بالحيطة والحذر من العدو

وهذا الملمح مستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد أرشد القرآن الكريم القائد المسلم بأخذ الحيطة والحذر من العدو وذلك في أكثر من موطن ومن ذلك قوله تعالى: " وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهيناً" (21)

وقد جاء في السيرة النبوية ما يؤيد هذا المبدأ كما في بيعة العقبة الأولى والثانية حيث تمتا بسرية تامة .

وقد لوحظ هذا الملمح في سياسة عمرو بن العاص جلياً في غزوة ذات السلاسل فقد اتخذ إجراءات وعممها على الجيش وكانت هذه الإجراءات من باب الأخذ بالحيطة والحذر من العدو ومن هذه الإجراءات:

1 – " أنه كان يسير في الجيش ليلاً ويكمن نهاراً " [22]

ولا شك أن في هذا الإجراء ما يحقق الأمن والسلامة والمباغتة في المعركة .

2 – منع جنوده من إشعال النار حتى لا يكتشف العدو قلة عددهم فيغير عليهم [23].

ولو قارنا بين موقف عمرو بن العاص في استراتيجيته في التعامل مع النار ومع موقف النبي صلى الله عليه وسلم منها في فتح مكة لوجدنا أن عامل الحذر والحيطة يسيطر على فكر عمرو بن العاص .

بينما وجدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدمها ليوهم العدو كثرة عدد الجيش الإسلامي وهذا استخدام إيجابي لوسيلة تخضع لسياسة القائد الميدانية في تقدير الموقف .

هذا وقد برر عمرو بن العاص موقفه للرسول عليه السلام فقال: لقد أحسست بما أحسوا يا رسول الله وكنت أود ان اشعلها لأستدفئ ولكني خفت أن يمتد الضوء فيكشف المسلمين لأعدائهم وهم قلة فينقضوا عليهم" [24]

3 – منع جيشه من تعقب فلول العدو .

وذلك أنه خشي أن يكون العدو قد أعد كمينا فيقع فيه المسلمون من حيث لم يحتسبوا . فلما سأله النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: ألا تركتهم يتبعون المنهزمين؟ . فقال: كنا نحارب في بلادهم يا رسول الله وقد خفت أن يكون لهم مدد فينقض على المسلمين إذ تبعوهم وبعدوا عن مواقعهم" [25].

ثانياً: تحمل المسؤولية[26] .

ومن الملامح العامة لسياسة عمرو بن العاص في تدبير الحروب والمعارك تحمل المسؤولية، فقد كان يرى في نفسه قدرة وكفاءة لا يجوز لأحد أن يتجاهلها وقد أحب أن يفصح له النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك عندما سئله بعد فراغه من غزوة ذات السلاسل عن احب الناس إليه صلى الله عليه وسلم فكان الجواب على غير ما توقع .

ولهذا نجده يجادل أبا عبيدة في الإمارة في غزوة ذات السلاسل ورفض رفضاً قاطعً التنازل عن القيادة لأبي عبيدة، وقال له: " إنما جئت لي مدداً"[27]

وفي فتحه لمصر أيضا برهان ساطع على هذا الملمح " فقد ألح على فتحها بينما كان الخليفة (عمر) لا يرى هذا الرأي ويتهيب فتح مصر حتى أنه كتب إلى عمرو كتاباً يقول فيه: إن جاءك كتابي هذا ولم تدخل مصر فإرجع وإن دخلتها فاستمر بالتقدم" ويقال أن كتاب الخليفة وصله ولم يدخل مصر بعد فما زال يحاكي حامل الرسالة حتى دخل مصر ثم فتحها واستمر في تقدمه .

ثالثاً: مباشرة المهام الخطيرة بنفسه

وهي ما سماها الفريق الركن صالح عماش" بالتماس بالقطاعات"[28] فقد كان يتولى المهام المعضلة بنفسه، ففي (يوم العربة) حمل بنفسه وقتل قائد الروم بيده، وفي حصار أجنادين اجتاز الأسوار وقابل قائد الروم (الأريطيون) أو (الأرطيون) كما يسميه العرب على أنه من رسل عمرو بن العاص[29] وكذلك فعل مع قائد غزة وفي الإسكندرية إجتاز أسوارها في أول إلتحام بحاميتها حتى تضاربت الروايات بشأن أسر الروم له[30] .

وقد ينظر إلى هذا الملمح بأنه نوع من الأنانية وعدم الثقة بمن معه من القادة، أو أنه نوع من الغرور الذي وصل إليه عمرو بن العاص حتى أنه خاطر بنفسه في قصة لقاءه مع الأرطيون!!

ويرد على هذا أن عمراً رضي الله عنه قد اتصف بالحيطة والحذر والدهاء والمكيدة ويبعد عنه أنه يفعل ذلك وقد شكك بعض الكتاب في صحة هذه القصة من أمثال العقاد الذي قال

بعد ذكره لهذه القصة: " وهذه القصة التي أشرنا إليها غير مرة – لا تؤخذ على علاتها في تفصيلاتها، ولا يلزم أن تصح أصولها ولا فروعها، ولكنها تدل – ولو كانت مؤلفة – على أشياء قريبة من الحقيقة، بل لا بد أن تكون قريبة منها، لأن صدق الأخبار عامة لا يستقيم ولا ينتظم بغيرها، فمن تلك الأشياء شهرة عمرو بالدخول في أمثال هذه المداخل العويصة التي يجرب فيها حيلته كما يجرب فيها إقدامه"[31] .

ولسنا مع العقاد في اعتماده لها على ضعفها، حيث غلب على شخصية عمرو بن العاص أنه لا يدخل في أمر حتى يعرف كيف يخرج منه، ويبعد عن سيرته أنه يتصرف بمثل هذه التصرفات.

وعلى فرض صحة القصة فإنها لا تحمل في ثناياها الاغترار بالنفس أو الأنانية ذلك أن في مثل هذه الأمور يحتاج القائد أن يرسم الخطة بنفسه وأن يتعرف على مداخل القلعة ومخارجها حتى يحسن وضع الخطة اللازمة للاقتحام وهذا معنى حسن طالما حرص عليه قادة المعارك قديما وحديثاً .

المطلب الثاني: مواقف سياسية متفرقة لعمرو بن العاص

ليس من الغرابة أن تسجل لعمرو بن العاص مواقف سياسية متفرقة طوال حياته، فعمرو بن العاص بحق سياسي مجرب، خاض معترك الحياة بحلوها ومرها واستطاع أن يؤثر في المجتمع تأثيراً لا يخفى على أحد .

وفي هذا المطلب سنقوم بجولة خاطفة لمجموعة من المواقف السياسية لعمرو بن العاص وهو خارج إطار الولاية والحكم .

أولاً: عمرو بن العاص سفيراً

وقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جيفر وعباد ابني الجلندي الأزديين صاحبي عُمان[32] برسالة يدعوهما فيها إلى الإسلام وقد أحسن في أداء المهمة التي وكّله بها النبي صلى الله عليه وسلم ويظهر حسن تصرفه في ذلك فيما يلي:

أ – أنه بدأ بأصغر الأخوين عباد .

وفي ذلك إنجاح لمهمته" لأن عباد لم يكن على ولاية الملك فهو أقرب إلى حسن الإصغاء فإحتفى به، وأصغى إليه، ووعده أن يوصله إلى أخيه ويمهد له عنده "[33].

ب – نجح في إقناع جيفر بالدخول في الإسلام بالحجة والمجادلة بالتي هي أحسن مستخدما الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى .

ثانياً: عمرو بن العاص مستشاراً طيباً .

من أعظم الكوارث التي وقعت بالمسلمين في حياة عمرو بن العاص انتشار مرض الطاعون وهو ما سمي " بطاعون عمواس" وقد هلك في ذلك الطاعون من المسلمين خمسة وعشرون ألفاً بالشام وحدهما[34] .

ويحدثنا الطبري في تاريخه عن حادثة الطاعون ممن شهد طاعون عمواس قائلاً: " لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة في الناس خطيباً فقال: أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم محمد وموت الصالحين قبلكم وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه فطعن فمات، واستخلف على الناس معاذ بن جبل قال فقام خطيبا بعده فقال أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وقال مثلما قال أبو عبيدة ثم طعن فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص فقام خطيباً في الناس فقال: أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتجبّلوا منه في الجبال، فقال أبو وائلة الهذلي كذبت والله، لقد صحبت رسول الله وأنت شر من حماري هذا، قال: والله ما أرد عليك ما تقول، وأيم الله لا نقيم عليه ثم خرج، وخرج الناس فتفرقوا ورفعه الله عنهم قال: "فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأي عمرو بن العاص فوالله ما كرهه "[35]

وقد روي أن عمر بن الخطاب قد كتب إلى أبي عبيدة كتاباً وجاء فيه: " إنك أنزلت الناس أرضاً عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة" [36]

إلا أن أبا عبيدة لم يتمكن من تنفيذ مضمون الكتاب إذ وافته المنية بالطاعون .

وقد يكون عمرو بن العاص اطَّلع على مضمون الكتاب فنفذه أو أنه أشار برأيه دون علمه بالكتاب فيكون قد وافق الرأي العمري في فهم الفرار من قدر الله إلى قدر الله الذي لم يفهمه بعض الناس ممن حضروا ذلك الطاعون .

ونلحظ من تصرف عمرو بن العاص خبرته بحقيقة هذا المرض وأنه سريع الإنتشار والعدوى ومن ثم وضعه للحل الأنجع في مكافحة ذلك الوباء بالتفرق في رؤوس الجبال حيث الهواء النقي، الذي لا يحمل جرثومة ذلك المرض .

وبين واقعية عمرو بن العاص، ومثالية أبي عبيدة بون واسع في السياسة الشرعية والتي فيها مجال للاجتهاد بالرأي في تحقيق مناط النص النبوي الشريف: " إذا وقع(أي الطاعون) بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها" (37)

فمن الصحابة من فهم الاستسلام لهذا الداء والرضى بقدر الله ومنهم من فهم مكافحة الداء بالفرار منه إلى قدر الله في النجاة فإن كانوا من أهل القرية لم يخرجوا منها بل صعدوا إلى الجبال وإن كانوا من غيرها لم يدخلوا إليها كما فعل الفاروق عمر رضي الله عنه .

ثالثاً: عمرو بن العاص يواجه المجاعة .

ومن الكوارث العامة التي عاشها المسلمون في تلك الحقبة من التاريخ ما عرف بعام الرمادة . وقد سجل التاريخ لعمرو بن العاص موقفه في نجدة المسلمين في ارض الجزيرة العربية الذين عمتهم المجاعة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فقد كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بفلسطين يقول: " سلام عليك أما بعد، أفتراني هالكا ومن قبلي، وتعيش أنت ومن قبلك فيا غوثاه، يا غوثاه، يا غوثاه"(38) .

فأجابه عمرو: " أما بعد، فلبِّث ؛ لأبعثن إليك بِعِيرٍ أولها عندك وآخرها عندي" (39)

هذا وقد رويت بعض الآثار: " أن نجدة عمرو بن العاص جاءت من مصر في البحر إلى جدة ومن جدة إلى مكة"(40). وقد علق الإمام ابن كثير على ذلك بأن ذكر عمرو بن العاص

مشكل وذلك أن عام الرمادة كان في سنة ثمان عشرة للهجرة ولم تكن مصر قد فتحت بعد أو أن ذكر عمرو بن العاص وهم من الراوي[41] .

وبالرغم من تشكك الإمام إبن كثير في ذكر عمرو بن العاص إلا أنه أقر بأن إسناد الراوية جيد، وقد يكون الوهم دخل في ذكر البحر وأن الراوي قد ظن أن مصدر النجدة كان من مصر عبر البحر ولكن يمكن أن يقال أن النجدة كانت من فلسطين عبر البحر إذ أن عمرو بن العاص كان والياً على المنطقة الساحلية من فلسطين، ويمكن أن يكون قد أرسلها براً بواسطة الإبل .

إلا أن المتفق عليه هو وصول الإمداد من قبل عمرو بن العاص إلى دار الخلافة في الحجاز.

إنّ تعامل عمرو بن العاص مع الأزمتين السابقتين ليمثل لنا نموذجا فريداً في فن إدارة الأزمات والتعامل معها وهذا حري أن يدرس في الكليات التي تدرس فن التعامل مع الأزمات، ولنا أن نتصور كيف جمع عمرو بن العاص ذلك الكم الهائل من الإمداد الغذائي لنجدة المسلمين في المدينة وكيف ابتكر من الوسائل ما يساعده على تحقيق ذلك الهدف .

رابعاً: عمرو بن العاص والفتنة الكبرى

وليس مقصد هذا البحث أن نحقق في الفتنة التي وقعت بين الصحابة فهذا أمر مزلقه خطير والخوض فيه جد عسير وإنما نقول في أمرها كما قال السابقون: " تلك فتنة طهر الله منها سيوفنا فنطهر منها ألسنتنا." [42]

ولكن الأمر الذي يعنينا في هذا المقام تحقيق بعض المواقف السياسية لعمرو بن العاص والتي نقلت عنه في أحداث الفتنة ومن أبرزها موقفين:

الموقف الأول: انحياز عمرو بن العاص لجبهة معاوية .

الموقف الثاني: قضية التحكيم

الموقف الأول: لماذا انحاز عمرو بن العاص لجبهة معاوية ؟

عزى أكثر الذين كتبوا عن عمرو بن العاص سبب انحيازه إلى جبهة معاوية حرصه على الدنيا ومتاعها ويستشهدون على صحة استنتاجهم هذا بروايات عدة منقولة عن عمرو بن العاص ومن هذه الروايات:

1 – لما جاء كتاب معاوية إلى عمرو يدعوه فيه إلى مناصرته، استشار في ذلك ولديه عبد الله ومحمد رضي الله عنهما فقال له عبد الله أرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس على إمام نبايعه وقال محمد: " أنت ناب من أنياب العرب فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صوت ولا ذكر"[43]

فكان مما قاله عمرو بن العاص: أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في آخرتي وأسلم لي في ديني، وأما أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي .... وشر لي في آخرتي [44]... ثم خرج حتى قدم على معاوية .

2 – ومن الروايات التي يستشهدون بها ما دار بين معاوية وعمرو بن العاص من حوار في حقيقة قتالهم لعلي بن أبي طالب وفيه يقول عمرو لمعاوية "أما والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها حيث تقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته ولكنّا إنما أردنا هذه الدنيا[45] ..

ولا شك أن مثل هذه الروايات حتى يستند الباحث إليها في تقرير حكم أو إثبات نتيجة تحتاج إلى التوثيق والتصحيح في سندها ومتنها وهذا أمر مشكوك فيه " حيث أن الطبري وهو إمام المؤرخين الجادين لم يذكر هذه الأطماع ولا أمر تلك الرواية حتى وإن حكم عمرو فيما بعد مصر، فقد كان عاملاً لمعاوية كغيره من الولاة، وربما تقديراً من معاوية له، ولماضيه فيها، ويكفي أن تلك الروايات كانت من كتاب الشيعة"[46] .

وهذا الروايات ترد متناً إضافة إلى ضعف سندها فهي تعارض عدالة الصحابة الذين رضي الله عنهم ومات النبي عليه السلام وهو عنهم راضٍ، وكذلك أنها تحمل التهمة من الخصم أو من صاحب الفتنة والبدعة فلا تقبل .

وفي مقابل هؤلاء نجد كثيراً من الكتاب المحققين الذين حاولوا بيان سبب انحياز عمرو بن العاص إلى جبهة معاوية قد ذكروا أسباباً أكثر موضوعية من السبب الأول ومن هذه الأسباب ما يلي [47]:

1 – المطالبة بدم عثمان، والنيل من قتلته وإصرار عمرو على المطالبة بذلك .

2 – أن عمرو بن العاص أدرك قوة معسكر معاوية وترابطه، واتفاق أهل الشام المحبين له على الثأر لعثمان .

3 – عدم استجابة علي رضي الله عنه بتسليم قتلة عثمان أو محاكمتهم .

4 – صلة قرابة معاوية بعثمان بن عفان دفعت عمراً للتمسك بمعاوية .

وقد يعتذر لعمرو بن العاص في ذلك أنه كان يرى أن معاوية أصلح لتولي الخلافة من علي إذ أن علي يمثل التطبيق المثالي للإسلام وأن الزمان قد تغير وقد دخل في الإسلام من الأمم والملل ما يحتاج إلى سياسة أكثر واقعية وتتعامل مع المستجدات بنظرة مرنة وهذا ما كان يمثله معاوية مما جعل عمرو بن العاص يميل إلى ترجيح كفته على علي والله أعلم.

الموقف الثاني: قضية التحكيم

وهذه القضية ثار حولها جدل واسع وأثيرت حول عمرو بن العاص بسببها تهم من أبرزها أنَّه خان العهد ونقض الميثاق وغدراً وفجر ...

ومن أحسن من كتب في قضية التحكيم الإمام أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه العواصم من القواصم .

ومما قاله: " وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه مالا يرضي الله وإذا لاحظتموه بعين المروءة – دون الديانة – رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين، وفي الأقل جهل بيِّن"(48).

وقال بعدما ساق الرويات التي تذكر قصة التحكيم: " هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء إخترعته المبتدعة، ووضعته التاريخية للملوك فتوارثته أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع "(49)

وجزم بما رواه الدارقطني بسنده إلى حصين بن المنذر: لما عزل عمرو معاوية جاء(جاء حصين بن المنذر) فضرب فسطاطه قريباً من فسطاط معاوية، فبلغ ثناه معاوية، فأرسل إليّ فقال: إنَّه بلغني عن هذا (أي عن عمرو) كذا وكذا فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه فأتيته فقلت: أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه ؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا في هذا الأمر ؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض. قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما قال: فكانت هي التي قتل معاوية منها نفسه . فأتيته فأخبرته (أي فأتى حصين معاوية فأخبره) أن الذي بلغه عنه كما بلغه . فأرسل إلى أبي الأعور الذكواني فبعثه في خيله، فخرج يركض فرسه ويقول أين عدو الله أين هذا الفاسق " (50) ؟.

وبناءً على سبق نستطيع القول أن عمرو بن العاص كان نزيهاً في مسألة التحكيم ولم يبع دينه بدنياه كما هو مشهور عند معظم الذين كتبوا في سيرة عمرو بن العاص .

وعليه فإن هذا الموقف السياسي الذي اتخذته عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري كان جديراً بأن يحسم الفتنة لولا تحريض المنافقين وأصحاب الغايات من المدسوسين في الصف الإسلامي الذين زوروا الحقائق وألبوا الأطراف على بعضها وروجوا للفتنة بكل ما أوتوا من قوة .

المطلب الرابع: أعمال عمرو بن العاص في مصر

استطاع عمرو بن العاص أن يسطر اسمه في مصر من خلال عدة أعمال قام بها كان لها أثرها الواضح في تاريخ مصر ومن هذه الأعمال ما يلي:

أولاً: تأسيس مدينة الفسطاط

ولهذا العمل دوره في إرساء الحضارة الإسلامية في مصر، وكان ذلك يتلائم مع أول أعماله المدينة .

ومن الجدير بالذكر أن مدن مصر كالإسكندرية مثلاً كانت قائمةً في ذلك الوقت فما السر من إتخاذ عمرو بن العاص من الفسطاط مدينة له ؟ وكان بإمكانه أن يستقر في الإسكندرية مثلاً ويتخذها عاصمة له .

" لقد كتب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين يستأذن في المقام بالإسكندرية وإقامة حكومته فيها، ولكن عمر رضي الله عنه سأل الرسول: هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟ فأجابه الرسول نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل" فكتب إلى عمرو: " لا أحب أن تنزل المسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف" فاختار عمرو المكان المجاور لحصن بابليون تحقيقاً لرغبة عمر"[51] .

ويلاحظ في تصميم مدينة الفسطاط التي أسسها عمرو أن المسجد يتوسطها، وينتشر من حوله بيوت الجنود وهذا طراز جديد في بناء المدن لم تعرفه الحضارات من قبل فأصبحت نموذجاً تطبيقاً للفكرة الإسلامية[52] .

أما بالنسبة لتسمية هذه المدينة بالفسطاط: " فذلك راجع إلى أن عمرو بن العاص بنى المدينة مكان الخيمة التي كان يقيم فيها والتي تسمى بلغة العرب فسطاطاً ويقال هي مشتقة من قولهم هذا فسطاط القوم ومجمعهم [53].

ثانياً: حفر خليج أمير المؤمنين .

فكّر بن العاص بحفر خليج بين بحيرة التمساح وبحر الروم يصل مياه البحرين بحر القلزم (الأحمر) وبحر الروم(الأبيض المتوسط) على نحو ما هو حادث اليوم . وإعتزم عمرو بن العاص القيام بهذا العمل الضخم لولا اعتراض أمير المؤمنين بأنه يسهل للروم اختراق هذه القناة وتسيير سفنهم إلى البحر الأحمر(54).

فقام عمرو بن العاص بحفر خليج من النيل إلى البحر الأحمر، وتتعدد الروايات فيمن اشار على عمرو بن العاص بحفر الخليج وقد رجح الدكتور عبد الرحيم محمد عبد الحميد أن عمرو بن العاص هو صاحب الفكرة (55).

وأي كان صاحب الفكرة فالذي باشر تنفيذها هو عمرو بن العاص رضي الله عنه وتولى إتمامها .

ويعتبر هذا العمل من أبرز الأعمال التي قام بها عمرو بن العاص في توجيه النشاط الزراعي والتجاري في مصر، ويذكرنا هذا العمل بالأعمال النبوية التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم، عندما هاجر إلى المدينة وكان من أبرزها تأسيس سوقٍ اقتصادي للمسلمين بالمدينة... فهو سير على المنهاج النبوي في وضع ركائز الدولة الإسلامية التي تتكامل أركانها الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية .

ثالثاً: تنظيم الخراج والجزية .

من الأمور التي أثيرت حول عمرو بن العاص سياسته في تنظيم الخراج، وقد وقع بينه وبين أمير المؤمنين مراسلات في ذلك .

فكان ينفق من الخراج والجزية ما يصلح به ما يحتاج إلى إصلاح من حفر الترع وإقامة الجسور أو بناء القناطر .... وغير ذلك ثم يبعث ما يبقى بعد ذلك إلى أمير المؤمنين .

وكان أمير المؤمنين يحتاج إلى المال لتنفيذ سياسته في شبه الجزيرة فألح على عمرو ليبعث إليه الخراج كاملاً . إلا أن عمرو أصر على سياسته حتى ضاق عمر بذلك فكتب إليه " لقد أكثرت

في مكاتبتك في الذي على أرضك من الخراج وظننت أنه سيأتينا على غير نزر، ورجوت أن تفيق فترفع إلي ذلك، فإذا أنت تأتيني بمعاريض تبعث بها لا توافق الذي في نفسي . ولست قابلاً منك دون الذي كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك، ولست أدري مع ذلك ما الذي نفرك من كتابي وقبضك؟ فلئن كنت مجزئاً كافياً صحيحاً إن البراءة لنافعة، وإن كنت مضيعاً نطفاً إن الأمر لعلى غير ما تحدث به نفسك، وقد تركت أن أبتغي ذلك منك في العام الماضي رجاء أن تفيق فترفع إليّ ذلك، وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك إلا عمالك عمال السوء، وما توالس عليه وتلفف، اتخذوك كهفا وعندي بإذن الله دواء فيه شفاء عما أسألك عنه، فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه فإن النهر يخرج الدَّر والحق أبلج، ودعني وما عنه تلجلج، فإنه قد برح الخفاء والسلام . (56)

فرد عمرو بن العاص على ذلك الكتاب بكتاب يقول فيه: "... أكثرت في كتابك وأنبت وعرضت وثربت . وعلمت أن ذلك عن شيء تخفيه على غير خبير، فجئت لعمري بالمفظعات المقنعات ... وقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده فكنا بحمد الله مؤدين لأمانتنا حافظين لما عظم الله من حق أئمتنا نرى غير ذلك قبيحاً والعمل به شيئاً، فيعرف ذلك لنا ويصدق فيه قيلنا، معاذ الله من تلك الطعم، ومن شر الشيم، والاجتراء على كل مأثم فاقبض عملك فإنَّ الله قد نزهني عن تلك الطعم الدنية، والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضاً ولم تكرم فيه أخاً .

والله يا ابن الخطاب لأنا حين يراد ذلك مني أشد لنفسي غضباً ولها إنزاهاً وإكراماً، وما عملت من عمل أرى علي فيه متعلقاً ولكني حفظت ما لم تحفظ، ولو كنت من يهود يثرب ما زدت يغفر الله لك ولنا ! وسكتُّ عن أشياء كنتُ بها عالماً وكان اللسان بها مني ذلولاً، ولكنَّ الله عظم من حقلك ما لا يجهل والسلام ." (57)

وبعد محاورات ومجادلات علل عمرو بن العاص سبب تأخيره في تحصيل الخراج بقوله : " ولكن أهل الأرض استنظروني إلى أن تدرك غلتهم فنظرت فكان الرفق بهم خيراً من أن يخرق بهم، فيصيروا إلى بيع ما لا غنى لهم عنه، والسلام" (58).

ويمكننا تلخيص موقف عمرو بن العاص من الخراج فيما يلي:

1 – أنه يرى أن وظيفة الخراج تكون بتأسيس البنية التحتية للدولة بإصلاح الطرق وبناء الجسور، وإقامة القناطر وغير ذلك...

2 – أنه لا يرى تعجيل تحصيل الخراج قبل الغلال حتى لا يضيق ذلك بالفلاحين فيلجئون إلى الدَّين أو إلى بيع متاعهم ومما لا غنى لهم عنه .

وأما موقف عمر بن الخطاب فكان ينظر نظرة القائد العام للأمة الإسلامية وكأنه يقف على رأس جبل ينظر حاجات المسلمين ببصره وبصيرته، فكان يرى أن مصر عامل قوة يجب أن يكفي حاجات المسلمين الضعفاء الذين ليس لهم أي مصدر طبيعي يقتاتون منه كما هو الحال في الجزيرة العربية، بينما أهل مصر ينعمون بخيرات النيل وخصوبة أرض مصر فلا بد من استعجال خراجها لتوظيفه في حاجات المسلمين .

ويبرز هنا سؤال على قدر كبير من الأهمية وهو .. هل أساء عمرو بن العاص في إدارته المالية ؟! وخاصة أن عمر بن الخطاب قد أساء فيه الظن وشاطره نصف ماله .

فقد كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص كتاباً يقول فيه: " إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم يكن حين وليت مصر" (59).

فأجابه عمرو: " إن أرضنا أرض مزدرع ومتجر، فنحن نصيب فضلاً عما نحتاج إليه لنفقتنا." (60)

فأرسل إليه عمر بن الخطاب: " إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى وكتابك إلى كتاب من أقلقه الأخذ بالحق، وقد سؤت بك ظناً ووجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك، فأطلعه طلعة وأخرج إليه ما يطالبك، واعفه من الغلظة عليك' فإنه برح الخفاء"(61) .

والذي يظهر أن عمر بن الخطاب قد لام عمرو بن العاص في عمله الخاص على حساب الوظيفة العامة ورأى أنه لا يجوز له أن يزرع أو يتَّجر وهو يتولى مهمة إدارة الولاية، فقام بمعاقبته فقاسمه ماله وذلك إعمال للقاعدة الشرعية " تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة"

فالمصلحة تقتضي أن يتفرغ الموظف لوظيفته والإمام لإمامته، والقاضي لمحكمته، فإذا مارس عملاً آخر أخل بوظيفته لا محالة، وعلى هذا يحمل تصرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه تجاه الصحابة الذين قاسمهم ممتلكاتهم كعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد ...

رابعاً: تنظيم علاقات أهل الذمة (القبط) بالدولة الإسلامية .

كما هو الحال في الدولة الإسلامية الكبرى عامل عمرو بن العاص القبط معاملة حسنة ونفَّذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم حيث قال: " استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم فينا رحماً وذمة" .

فأحسن عمرو بن العاص معاملة القبط وقد شهد بذلك النصارى أنفسهم وفي ذلك يقول الدكتور نظمي لوقا" ولم يكن للمسلمين اهتمام بمنازعات الملل المذهبية وأحزاب المجامع الكنسية فاقروا الحرية الدينية، ورفعوا الاضطهاد عن القبط، وكتب عمرو أمر أمان على هيئة منشور لا تخصيص فيه:

" اينما كان بطريق القبط بنيامين نعده الحماية والأمان وعهد الله فليأت البطريق إلى هنا في أمان واطمئنان ليلي أمر ديانته ويرعى أهل ملته"(62) .

ولم يلبث بنيامين أن برز من مكمنه وعاد إلى كرسيه الرسولي في الإسكندرية، فدخلها دخول الظافر بعد غيبة طالت ثلاثة عشر عاماً وتلقاه الناس هناك بفرح لا يوصف" (63).

ونستطيع أن نجمل سياسة عمرو بن العاص في التعامل مع القبط فيما يلي:

1 – لم يهجرهم من بلادهم بل أمر بعدم رحيلهم عنها وفي ذلك يقول الواقدي: " بعث إلى أهل البلاد وطيب خواطرهم وقال لهم: لا يرحل أحد من بلده ونحن نقنع بما توصلونه إلينا من الطعام والعلوفة فأجابوه إلى ذلك "(64) .

2 – لم يفرض الجزية إلا على المقتدر منهم فقد جاء في صلحة الذي عقده معهم فوضع على كل حالم دينارين جزية إلا أن يكون فقيراً(65) .

3 – كان ينذرهم قبل أن يقيم عليهم العقوبات ." من كتمني كنزاً فقدرت عليه قتلته"(66).

4 – جعل معاقبة اللصوص ومتابعتهم على نفس أهل الحي وإلا وإلا أخذهم به " وعليهم ما جنى لصوتهم"(67) .

5 – قرر لهم الحرية الدينية في البقاء على دينهم ومذاهبهم .

6 – ربط الخراج الذي يدفعونه بزيادة النيل ونقصانه، وهو تطبيق لمفهوم العدل الإقتصادي في تحصيل موارد الدولة، فإذا نقص الماء إضطرد ذلك إلى قيمة الخراج المحصلة منهم وإذا زادت المياه زاد الخراج .

ويقرر الدكتور نظمي لوقا: " أن عمرو بن العاص ألغى الإمتيازات الضريبية، وجعل الخراج على الأرض كلها لا شأن له بأصحابها فإن تملك الأرض مسلم لزمه خراجها كالقبطي سواء بسواء." (68)

7 – أقر القبط ليحددوا قيمة خراج البلاد إذ جعل على كل قرية من أهلها جماعة تجمع خراجها(69)

خامساً: الأعمال الإدارية ..

نظم عمرو بن العاص الأعمال الإدارية في ولايته ومن الإجراءات التي اتبعها في ذلك ما يلي:

1 – لم يغير جهاز الحكم

" إذ لم ينزع المناصب من أهل البلاد ليستأثر بها العرب بل تركها لمن هم أعلم بها ليكونوا مسؤولين عن أعمالهم أمام الوالي حتى لا تضطرب الأمور بإنتقال المقاليد كلها مالياً وإدارياً إلى من لا عهد لهم بذلك البناء الحضاري المعقد العريق "(70).

وهذا بعد نظر من عمرو بن العاص وحسن تدبير منه وهو عامل مهم في بث الأمن والاستقرار في البلد .

2 – أتخذ مرابطين لمقاومة أي اعتداء أو خوفاً من ثورة أهلها(71) .

3 – اتخذ حرساً للسواحل لمراقبة تحرك العدو[72] .

وهذا الإجراءات الإدارية من شأنها إرساء قاعدة الأمن الداخلي والخارجي .

الخاتمة

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد:

فإننا بحمد الله أتممنا هذه الدراسة حول الفكر السياسي عند عمرو بن العاص ومما توصلنا إليه من نتائج ما يلي:

1- برزت عدة ملامح سياسية لعمرو بن العاص في تدبير الحروب والجهاد في سبيل الله .

2- من خلال مجموعة من المواقف السياسية المتفرقة لعمرو بن العاص يتضح لنا معالم الفكر السياسي عنده ومنها الخبرة والتجربة، الأمانة والإخلاص، النجدة والشهامة .

3- أثيرت حول عمرو بن العاص أكاذيب غير مرتضاه وخاصة في قضية التحكيم بين علي رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

ولعل أهم توصية أخرج بها من دراستي هذه: العمل على تأليف موسوعة سياسية من مجموع سير الصحابة الكرام الذين تولوا أعمالاً سياسية، وفق منهجية موضوعية تعتمد موضوعات سياسية والتدليل عليها من المواقف السياسية المأثورة عن الصحابة رضي الله عنهم ."

وأخيراً فإنني أتقدم بوافر الشكر والتقدير لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد نعيم ياسين الذي أتحفنا بدقائق علمه من خلال محاضرات مادة السياسة الشرعية لطلبة الدكتوراه فاستفدنا الكثير من علمه ولطائفه فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء .

والحمد لله رب العالمين .

المراجع والمصادر

1- القرآن الكريم

2 – ابن العربي، محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري المالكي (543 هـ)، العواصم من القواصم، مكتبة السنة، القاهرة، ط 6، 1412 هـ تحقيق محمود مهدي الاستانبولي .

2- ابن كثير، اسماعيل بن عمر أبو الفداء، البداية والنهاية، مكتبة المعارف بيروت .

3- الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم، معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م.

4- الأصفهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم،

5- البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407 هـ تحقيق: مصطفى ديب البغا .

6- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ، تحقيق: محمد رضوان.

7- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414 هـ، تحقيق: محمد عبد القادرعطا .

8- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد شاكر وآخرون.

9- الجزري، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1997 م .

10- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1413 هـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزميله .

11- شلبي، محمود، حياة عمرو بن العاص

12- الطبراني، تاريخ الطبراني

13- الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407 هـ

14- عبد الحليم، عبد الرحيم محمد، عمرو بن العاص القائد والسياسي

15- العقاد، عباس محمود، عمرو بن العاص

16- عماش، صالح مهدي، القيادة الناجحة،

17- لوقا، نظمي، عمرو بن العاص

18- المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 1993 م

19- المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة .

20- مبيض، محمد سعيد، موسوعة حياة الصحابة، مكتبة دار الفتح، قطر، ط1، 2000 م

21- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

22- الواقدي، أبو عبد الله بن عمر الواقدي، فتوح الشام، دار الجيل، بيروت.

23- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.

الهوامش:

(1) سورة النجم آية رقم (28)

(2) سورة آل عمران آية رقم (7)

(3) الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق أبو نعيم، معرفة الصحابة 389/3، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م، الجزري، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة 384/3، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1997م .

(4) الأصبهاني، معرفة الصحابة 389/3، الجزري ابن الأثير، أسد الغابة 384/3 .

(5) أخرجه الطبراني في تاريخه 146/2 والبيهقي في الكبرى 123/9 .

(6) ابن الأثير، أسد الغابة 3/ 386

(7) محمود شلبي، عمرو بن العاص ص 46

(8) الذهبي، سير أعلام النبلاء 9/1 بتصرف . قال موسى: فلما قدموا على عمرو قال: أنا أميركم، وأنا أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستمده بكم، قال المهاجرون: بلى، أنت أمير أصحابك، وأبو عبيدة أمير المهاجرين، فقال عمرو: إنما أنتم مدد أمددت، فلما رأى ذلك أبو عبيدة، وكان رجلا حسن الخلق لين الشيمة، سعى لأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عليه وعهده قال: تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال: « إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا » وإنك إن عصيتني لأطيعنك، فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص . " انظر: البيهقي، دلائل النبوة فالنتجية لهذا الحوار أسفرت عن تنازل أبي عبيدة عن الإمارة لعمرو بن العاص ولا يشير هذا إلى ضعف أبي عبيدة وعدم قدرته على إثبات وجهة نظره وإنما يدل على قدرة الصحابة رضي الله عنهم على حسم الخلاف إذا نشب بينهم بالتزام التوجيهات النبوية في التطاوع وعدم التنازع والتجرد عن الهوى وترك حظوظ النفس ومداخل الشيطان .

(9) الذهبي، سير أعلام النبلاء 147/2، وفيه حديث أخرجه البخاري عن أبي عثمان النهدي عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، قال فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك ؟

قال: عائشة . قلت: من الرجال ؟ قال: أبوها . قلت ثم من قال عمر بن الخطاب فعد رجالاً " أنظر صحيح البخاري حديث رقم 3462

(10) مبيض، محمد سعيد، موسوعة حياة الصحابة 6 / 2807، مكتبة دار الفتح، قطر، ط1، 2000 م .

(11) الجزري ، أسد الغابة 3 / 385

(12) الواقدي، فتوح الشام 15/1

(13) الذهبي، سير أعلام النبلاء 58/3

(14) الذهبي، سير أعلام النبلاء 58/3 وقد كان عزل عثمان رضي الله عنه لعمرو على مرحلتين المرحلة الأولى عن ولاية الخراج وأبقاه على ولاية الجند والصلاة والمرحلة الثانية عزله عن ولاية مصر نهائياً . انظر لمزيد من التفصيل موسوعة حياة الصحابة 5 / 2808 وما بعدها.

(15) الذهبي، سير أعلام النبلاء 3 /58 .

(16) الأصفهاني، الحلية 55/9 وذكره الذهبي عن طلحة برواية عبد الجبار بن الورد قال: ألا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء إني سمعته يقول: عمرو بن العاص من صالحي قريش نعم أهل البيت أبو عبد الله، وأم عبد الله، وعبد الله " الذهبي، سير أعلام النبلاء 4/ 64، وأخرجه الترمذي في سننه حديث رقم (3845)

(17) الذهبي، سير أعلام النبلاء 369/1 .

(18) الذهبي، سير أعلام النبلاء 56/3

(19) الذهبي، سير أعلام النبلاء 64/3

(20) الذهبي، سير أعلام النبلاء 59/3 .

(21) النساء آيه رقم (102)

(22) المباركفوري، الرحيق المختوم 379

(23) عبد الرحيم محمد، عمرو بن العاص القائد والسياسي 62

(24) مبيض، موسوعة حياة الصحابة 3 / 2812

(25) المرجع السابق 3 / 2812

(26) صالح عماش، القيادة الناجحة 20

(27) الجزري، أسد الغابة 3 / 385

(28) صالح عماش، القيادة الناجحة 21

(29) تاريخ الطبري 2/ 447

(30) صالح عماش، القيادة الناجحة 83

(31) العقاد، عمرو بن العاص 83

(32) تاريخ الطبري 2 /128، ابن كثير، البداية والنهاية 374/4، البدء والتاريخ 4 /442، تاريخ اليعقوبي 2 /78 .

(33) محمود شلبي، حياة عمرو بن العاص 46

(34) تاريخ اليعقوبي 150/2

(35) تاريخ الطبري 2 /488

(36) المصدر السابق

(37) حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (6572) وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (2219)

(38) محمود شلبي، حياة عمرو بن العاص 89

(39) محمود شلبي، حياة عمرو بن العاص 89

(40) ابن كثير، البداية والنهاية 7 /90

(41) المصدر السابق 90/7

(42) هذا القول مروي عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله

(43) مبيض، موسوعة حياة الصحابة 5 / 2814

(44) المرجع السابق 5 / 2814

(45) محمود شلبي، حياة عمرو بن العاص

(46) د. عبد الرحيم محمد، عمرو بن العاص القائد والسياسي 102

(47) المرجع السابق 101

(48) ابن العربي، العواصم من القواصم 175

(49) المصدر السابق 179

(50) ابن العربي، العواصم من القواصم 180

(51) محمود شلبي، حياة عمرو بن العاص 140

(52) المرجع السابق

(53) البلاذري، فتوح البلدان 214/1 بتصرف

(54) محمود شلبي، حياة عمرو بن العاص 147

(55) د. عبد الرحيم محمد، عمرو بن العاص القائد والسياسي 138

(56) صالح عماش، القيادة الناجحة 170، محمود شلبي احياء عمرو بن العاص 509

(57) صالح عماش، القيادة الناجحة 172، محمود شلبي، حياة عمرو بن العاص 151

(58) المراجع السابقة

(59) االبلاذري، فتوح البلدان 1 /22

(60) المرجع السابق

(61) المرجع السابق

(62) نظمي لوقا، عمرو بن العاص 165

(63) المرجع السابق

(64) الواقدي، فتوح الشام 2 / 52

(65) البلاذري، فتوح البلدان 1 / 216

(66) د. عبد الرحيم محمد، عمرو بن العاص القائد والسياسي 129 .

(67) المرجع السابق

(68) نظمي لوقا، عمرو بن العاص 167

(69) د . عبد الرحيم محمد، عمرو بن العاص القائد والسياسي 143

(70) نظمي لوقا، عمرو بن العاص 166 .

(71) د . عبد الرحيم محمد، عمرو بن العاص القائد والسياسي 140

(72) المرجع السابق .